عن الرعاية والرعاة

المتقدم في الكهنة قسطنطين أوستروفسكي

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

مقتطفات من مقابلة أجرّيت مع المتقدم في الكهنة قسطنطين أوستروفسكي تعليقاً على عدد من استقالات الكهنة، وعلى رأسهم أندرياس كونانوس الذي كان أرشمندريتاً يونانياً وله عدد كبير من النشاطات على وسائل التواصل الاجتماعي والبرامج التعليمية، التي تخطت بتأثيرها اليونان إلى أميركا وروسيا. كونانوس أذاع استقالته خلال أحد برامجه في أيلول الماضي وقال أنه سوف يتابع نشاطاته. أثارت استقالته ضجة في الأوساط الكنسية خاصةً لدى الذين كانوا يتابعونه، وقد شكّل الأمر تجربة لكثيرين.

رأت التراث الأرثوذكسي أن من المفيد نشر هذه المقتطفات خاصةً أن في نفس الفترة انتشرت على وسائل التواصل الاجتماعي صور أعراس لأكثر من شخص تركوا الكهنوت، أو لشخص كان أرشمندريتاً يتقبل النذور الرهبانية عند الاتحاديين. كالعادة، الصمت كان سيد الموقف في الكنيسة الأنطاكية حيث لم يصدر أي موقف عن أي رئاسة يضيء على المجريات في إطارها الصحيح.

اختيار هذه المقابلة للنشر لا يعني القول للأنطاكيين بأن ما جرى عادي. بل هو دعوة إلى الصلاة وعيش الحياة الروحية بشكلها الأصيل لأن حرب الشيطان على الكنيسة الأرثوذكسية مستعرّة في كل العالم وقد تكون الأخفّ في أنطاكية.

أخطاء الكهنة

بعض الكهنة، بعد أن يكونوا قادة روحيين للكثيرين، يقدمون استقالاتهم ويتركون الكنيسة. لا ينبغي أن يعتقد الناس أن حياة الكنيسة قد اهتزت عندما يهتزّ بعض الناس، حتى ولو كانوا كهنةً يتركون الكنيسة. لا يمكن الكلام عن الجميع والتعميم. الناس مختلفون. سأعطيكم مثالاً إيجابياً: القديس يوحنا الصامت كان أسقفاً في أرمينيا. رغبةً في الصلاة العميقة، ترك الكاتدرائية وتظاهر بأنه رجل عادي. جاء إلى دير القديس سابا المتقدس (في فلسطين) وهناك عاش حياة النسك كراهب عادي. لم يُعرَف أنه اسقف إلا في وقت لاحق. ظاهرياً، هو ترك خدمته لكنه لا يُلام على ذلك.

في بعض الأحيان، الخطايا المميتة، كالزنا وإدمان الكحول، وغيرها من الخطايا التي تتناقض مع الكهنوت، تؤدّي إلى إبعاد شخص ما عن الخدمة. في أحيان أخرى يترك الكهنةُ الخدمةَ من تلقاء أنفسهم وأحيانًا تقرر السلطة الكنيسة إيقاف شخص ما من خدمته الكهنوتية.

أحيانًا يُسام الإنسان دون أن يدرك تمامًا نوع الخدمة وماذا تتطلب. في مثل هذه الحالات لا بدّ من التساؤل عن مَن أوصى بسيامته ومَن سامه. أعرف كاهناً شابًا لا أستطيع أن أصف أحواله الآن. هذا، بكل معنى الكلمة، دفعته والدته إلى السيامة. أخذته عمداً إلى أبرشية نائية من أجل ذلك، وبعد فترة أدرك هذا الرجل التعيس أنه لا يستطيع أن يكون كاهناً ولا يريد ذلك.

عن أصحاب المصداقية

أحيانًا يكون بين الكهنة الذين يستقيلون من الخدمة الكهنوتية أشخاص سمع الجميع بأسمائهم، وهم مثقفون معروفون (كأندرياس كونانوس على سبيل المثال). هؤلاء الكهنة يتمتعون بمصداقية كبيرة. هنا الناس الذين كانوا

يحترمون هؤلاء الكهنة سوف يفكّرون: "ما الذي كنت أبحث عنه في الكنيسة، إذ أشعرتني استقالات هؤلاء الكهنة بالحيرة؟" الرد هو بمثال شائع: ذهب رجل إلى السوق ولعب لعبة حظ وخسر كل أمواله. هذا طبعاً لا يعني أنه لا ينبغي لأحد أن يذهب إلى السوق. بل ببساطة لا ينبغي للمرء أن يلعب قمار. إذا كان الإنسان في الكنيسة يبحث عن الله وعن طريق روحي، فإنه سيجده بالتأكيد. بتعبير أدق، اللهُ سيجد هذا الشخص. قد نرتكب أخطاءً في بحثنا. الإنسان الذي يطلب الله يمكن أن يسقط، لكنه بحاجة إلى أن يقوم، والله يساعده عندما يرى جهوده.

عن الاستنفاد الرعائي

يتحدث الكثير من الناس عن الاستنفاد الذي يحصل في بعض الأحيان. هذا يحدث للأطباء والمعلمين. في الكنيسة، يبدو لي أن السبب الرئيسي للإرهاق الرعائي هو أن الإنسان يحاول إخراج الخير من نفسه وبذل طاقته الروحية، لكنها محدودة فينا جميعًا.

إذا لم أقم بتشغيل جهازي المحمول، فلن تنفد طاقته أبدًا، ولكنه سيظل بلا فائدة. ولكن إن شغلّتُه واستعملته دون إعادة شحن البطارية، فسوف تنفد طاقة البطارية وبعد فترة سيتوقف عن العمل. سيعود الكمبيوتر المحمول إلى العمل عند توصيله. الأمر نفسه ينطبق على الإنسان، إذا كان، مجازياً، موصولاً بالقوة الإلهية، وإذا عملت النعمة من خلاله، يمكنه أن يخدم الناس دون أن يُستَنفَد. نحن نعرف أمثلة من القديسين، كيوحنا كرونشتاد البار صانع العجائب على سبيل المثال، الذي كان يخدم الناس من الصباح إلى الليل، يومًا بعد يوم، وكان لديه ما يكفي من القوة حتى وفاته.

ولكن عندما يحاول الإنسان أن يقوم بعمل الله بقوته الخاصة، وعندما تكون غيرته غير معتدلة روحيًا، يمكن أن يصبح روحيًا فارغًا تمامًا. أقصد بكلامي الكهنة الغيارى. الكسالى لا يعانون من الإرهاق. هم مثل جهاز الكمبيوتر المُطفأ. بادئ ذي بدء، نحن بحاجة إلى أن نطلب الله، ونطلب نعمة الله حتى تعمل من خلالنا.

عن الخطأة الذين يتوبون

ما من شيء مميز يحدث في عصرنا ولم يحدث من قبل. لأعطيكم مثالًا نموذجياً: الكنيسة مستشفى روحي. فقط في مستشفانا، الطبيب كليّ القدرة وكليّ العلم. إذا عولِج المريض بأمانة فلا بدّ أن يشفى. لكن المرضى ينتهكون النظام في بعض الأحيان. إذا كان المريض يقفز من النافذة لتعاطي المخدرات، ويرفض العلاج، فلا يمكن لأي طبيب مساعدته. من الأمثلة الحيّة على أنّ لا شيء جديد يحدث اليوم هو حقيقة أنّ من بين الرسل الاثني عشر، تبيّن أن واحداً من كلّ ستة كان خائنًا، أي يهوذا وبطرس. الفارق الوحيد هو أن بطرس تاب وأما يهوذا فلم يتُب. أحيانًا يريد الله أن يمنحنا نعمته من خلال قديس عظيم، أحيانًا عن طريق كاهن عادي، وأحيانًا من خلال شخص خاطئ. لا ينبغي أن نتخلّى عن الحق حتى لو أعلنه الرب من خلال شخص تافه. لا داعي لإدانة أي شخص. يحدث أن يسقط الإنسان ثم يقوم. أنا نفسي أعرف مثل هذه الأمثلة. ربما يكون الإنسان في الواقع قد ترك الكهنوت، ولكن بعد فترة يمكنه أن يتوب، ويقبل الله توبته، فلنأمل...

يجب أن نشعر برأفة صادقة تجاه أولئك الذين يمرّون في هذه التجربة. أكرر: لا تدينوا. ولكن بالطبع، ليس هناك ما يستحقّ الثناء.

عن الثقة في الكاهن

ماذا إذا كان أحد الكهنة واعظاً مفوّهاً ولكنه توقّف وغادر الكنيسة؟ ليس صحيحاً أن نفقد الثقة في جميع الكهنة والآباء الروحيين. يجب أن نبحث عن السند في الله لا في الناس.

شخصياً عشتُ الخبرة التالية: عندما أتيت إلى الكنيسة، كنتُ أتكلّم كثيرًا إلى الأب جورجي برييف الطيّب الذكر. كان أبي الروحي. في حينه لم يكن قد اتّضح ليأنه كان قديسًا عظيمًا. كنت أتمنى من الله أن يرشدني من خلال أبي الروحي ، وكنت أصلّي: "يا رب، لا تدع أبي الروحي يضيع وأنا معه". بادئ ذي بدء، يجب أن نطلب من الله. إنه لأمر جيد أن تكرّم أباك الروحي، لكن لا يزال عليك الاعتماد على الله. كل شخص ضعيف. حتى القديسين العظماء قد يخطئون. عندما يكون الإنسان هنا على الأرض يكون ضعيفًا.

لا ينبغي أن تفقد صوابك أبدًا. لكن هذا لا يعني أنّ علينا أن نشكّ في كل كلمة. من الضروري أن نثق، لكن من الضروري أيضًا أن نقارن ما نتعلمه بتعليم الكنيسة، بالأسفار المقدسة، وتعاليم الآباء القديسين. علاوة على ذلك، الكتب الضرورية متوفرة في كل الكنائس تقريبًا.

عن الدعوات إلى الفرح

قد يقع الشخص في الوهم أو في خداع الذات أو الغواية الشيطانية. عندما أسمع أن شخصًا ما يتحدث كثيرًا عن الفرح، ويشجّع الجميع بفرح على الابتهاج، أتعامل مع هذا بحذر وعدم ثقة.

كتب الرسول بولس عن الفرح: "افرحوا دائمًا ، صلوا باستمرار ، اشكروا على كل شيء" (١ تسالونيكي ٥: ١٦-١٨). عسى أن يعطينا الله جميعًا هذا الفرح، لكني أعتقد أن معظمنا بعيدون جدًا جدًا عن هذا.

وعندما يبدأ الإنسان بالضغط على نفسه: "يجب أن أكون سعيدًا"، أنظر إليه ولا أصدّق. كتب تشيسترتون في إحدى قصصه: "عندما أرى شخصًا دائمًا في حالة مرحة وسعيدة، أتوقع أنه سينتحر قريبًا".

إلى هذا، فإن الرغبة في الحصول فقط على ما هو مبهج من الكنيسة وأن لا يكون فيها إلا الصالحون وأن تكون العلاقة بها صادقة دائماً: هذا في حد ذاته وهم وغواية. بالمناسبة، كل هذا مفروغ منه عند بعض الطوائف. هناك طريق أقصر وأكثر خطورة هي المخدرات التي توفر الراحة لفترة قصيرة. لكن هذا ليس الطريق إلى الله. أنتم بحاجة إلى السعي إلى الله، فهو سعي نافع ومخلّص لنفوسنا. يجب أن يحذر الراشد من المعاملة اللطيفة.

نعم، كان القديس سيرافيم ساروفسكي ينادي كل مَن يأتي إليه "يا فرحي!" إذ كانت روحه مفعمة بالنعمة نتيجة سنين كثيرة من الأعمال العظيمة من إفراغ الذات والصمت أثناء عيشه في الغابة وحده وصلاته. لقد كان يطلب الله لا التعزيات، ومع الله وجد النعمة والفرح معاً. لاحقًا، سكب هذا الفرح الإلهي الحقيقي على الذين تواصلوا معه. لكن هذا النوع من الفرح نادر.

من الواضح أنك تحتاج في الكنيسة إلى معاملة الناس بعناية وانتباه. يجب أن يتذكر الكهنة وخدّام الكنيسة أنه ينبغي الترحيب بالناس بلطف. يجب أن نكون جميعًا متلطّفين ببعضنا البعض. هذا طبيعي. علينا أن نشجّع الذين يأتون إلى الكنيسة ونعزّيهم ولا نحرجهم. هذا هو اهتمام خدام الكنيسة ونحن نخطئ إذا فعلنا غير ذلك. لكن يجب على الشخص الآتي إلى الكنيسة، كما أكرر مجدداً، أن يبحث بدقّة عن الطريق الروحي. وهذا المسار دائمًا يتضمّن حمل الصليب.

في كثير من الأحيان، ينبغي إخبار أبناء الرعية الذين يتذمرون إلى الله في الظروف المحزنة بأننا لسنا موعودين بأي منافع على الأرض، بل ملكوت السموات. المسيح نفسه قد صُلب ومات على الصليب على الأرض ، وهو يدعونا لأن نسلك طريق الصليب.

عن الذين يقودوننا إلى الله

في بعض الأحيان، عظات أو كتب أولئك الذين خلعوا رتبهم أو تركوا الكنيسة، قد تجلب شخصًا ما إليها. لا يوجد شيء مميز في هذا. على سبيل المثال، تأثرتُ كثيرًا بكتاب المنجّم بيتر أوسبنسكي "بحثاً عن المُعجِز". عندما قرأتُ

هذا الكتاب، تخلّيت عن أوهامي الأخلاقية وقررت البحث عن طريق روحي ووجدته في الكنيسة. لكن هذا لا يعني أن الكتاب جيد وأن أوسبنسكي ليس عالِم تنجيم.
أحيانًا يمكن للإنسان أن يؤمن من خلال كاهن، حتى ولو كان خاطئًا. فيرا فيرخوفتسيفا، الابنة الروحية للقديس يوحنا كرونشتاد، عاشت حياة فاسدة ثم تابت وقررت تقديم اعترافها الأول للأب سرجيوس الذي عمّدها في طفولتها. اعترفت وأخبرته بصدق عن كل حياتها ثم اكتشفت أنه كان مخمورًا تمامًا اثناء الاعتراف. لكن طريق التوبة قادها بعد ذلك إلى الأب يوحنا كرونشتاد الذي دعا فيما بعد الأب سرجيوس الذي صحّح حياته في النهاية.
يبدو الأمر أن كاهنًا مخمورًا يؤدي الأسرار المقدسة يمكن أن يحرج الكنيسة ويبعِد الناس عنها، لكن الله ساعد فيرخوفتسيفا حتى من خلال هذا الكاهن، لأنها كانت تبحث عن الله. ومع ذلك، هذا لا يبرر خطايانا.
بالنسبة للكتب، يمكن للإنسان أن يكتب كلمات صحيحة حتى لو كان في حالة من الوهم. "أنا أؤمن بوجود إله"، هذا يكفي لقيادة شخص ما إلى الإيمان. وليكن هذا الشخص ممتنًا للكاهن الذي كتب هذه الكلمات ولهذا الكتاب وليصلِّ من أجل الكاتب.

عن التوقعات الكبيرة جداً

بشكل عام ، لا داعي للخوف مما يحدث. هنا، كما في الحرب، يمكن أن يُقتل شخص في مكان قريب. الشيء الرئيسي هو محاولة الصمود، الشعور بالأسف على الرفاق القتلى، ومحاولة مساعدة الجرحى. هذه المعركة ليست نكتة، الحياة الروحية خطيرة. قال المتروبوليت أنطوني من سوروج إن بدء الصلاة يشبه الدخول في قفص مع نمر. كما ترون، إنه نمر وليس غزالاً طيباً. ولكن إذا كان الإنسان يبحث عن الله فالله يساعده بالتأكيد.
يتحدث الكثيرون عن الكهنة الذين استقالوا علنًا من الكهنوت بمحض إرادتهم، وهم طبعاً يشكّلون تجربة للضعفاء. ولكن مَن يتعرّض لتجربة شديدة بسبب النواقص التي رآها في حياة الكنيسة، يعني أن مقاربته كانت خاطئة من قبل وتوقعاته عالية جدًا بشكل غير مبرر.
لقد حدث لي العكس تمامًا، إذ عندما جئت إلى الكنيسة واعتمدت في السابعة والعشرين من عمري، لم أكن أتوقع شيئًا جيدًا من الكنيسة. كانت فكرتي أن هناك شيئًا يجب البحث عنه في الكنيسة، لكنني كنت أعامل الناس مسبقًا بتحيّز كبير. تدريجيًا اتضح لي أن أحكامي المسبقة بعيدة كل البعد عن الصِحّة، وأن هناك الكثير من الروحيين الصالحين في الكنيسة. هذا الأمر يكون أكثر صعوبة للشخص الذي يبدأ العلاقة ببهجة. ففي البداية يلتقي بأناس رائعين في الكنيسة وفجأة يعلم أن بينهم مَن ليس كما رآه. هذه تجربة يجب على المرء أن يتغلب عليها.

عن عمل الحياة الروحية الباهر

قد يبدو للإنسان أنه ضعيف وعاجز عن فعل أي شيء. لكن في الحرب لا محل للضعفاء، أنت استُدعيت وأُعطيت بندقية لذا امضِ وتموضَعْ في الخندق. طبعاً هناك جنرالات وضباط وهناك قوى النخبة بمواهب خاصة. لكن الجندي العادي هو محارب روحي، فهو مؤتمن على عمل الله ويجب أن يقاتل من أجل النصر. الجبن سيء، إنه خطيئة.
الله يحفظنا. ربما من خلال كاهن صالح أو من خلال كاهن سيئ أو ربّما بدون كاهن على الإطلاق. إن أرسل الله أبًا روحيًا مستحقًا وخبيرًا فهذه تكون نعمة عظيمة. يجب أن نمسك بيد أبٍ مثل هذا. هذا خلاصيّ رغم أنه قد يكون صعبًا للغاية. إذا لم يرسل الله أبًا روحيًا كهذا فسوف يقودك بنفسه بطريقة مختلفة. الشيء الأهم هو السعي إلى الله.

الحياة الروحية عمل بطولي، فهي تتطلّب منّا العمل والصبر. ولكن الله يعين مَن يسير عليها ويرفع الساقط إلا إذا رفض السير في هذا الطريق. يصير الأمر سيئاً عندما تختلف الأمور. إذا واصلنا استعارة صورة الحرب فالجندي الذي يؤدي واجبه العسكري لن يُترَك حتى لو أصيب. أما إذا فرّ فوَيلٌ له. الإيمان لا يُعطى لنا في المعاهد والمؤسسات اللاهوتية. الإيمان مسألة تتعلّق بإرادتنا.

لذلك، ليس هناك ما يدعو إلى الاستغراب من وجود العديد من المتعلمين بين الذين سقطوا. كما لا داعي لإدانة أحد، فقد نقع نحن أيضًا في نفس الأمر. إذا سقط من الإيمان شخص عزيز كنا نثق به، فمن الضروري أن نصلّي أكثر من أجله. إذا كان قد قال كلمات ما زالت صحيحة إلى الآن وبعد كل شيء، فيجب أن يكون المرء ممتنًا له. إذا تبيّن أنها كانت خاطئة فعلينا أن نتفحّص سبب استجابة روحنا لها ونتوب.

هذا معنى تحسين ذواتنا: أن نجد حلولاً للمهام الموكلة إلينا من الله، بمعونته.

https://www.pravmir.com/priests-leave-church-archpriest-konstantin-ostrovsky-speaks-on-how-to-live-through-it/